# «الهايكو العربي» يحيل الشعراء إلى قفص الاتهام

## عذاب الركابي: الكتابة بكل فنونها سؤال دائم معلق

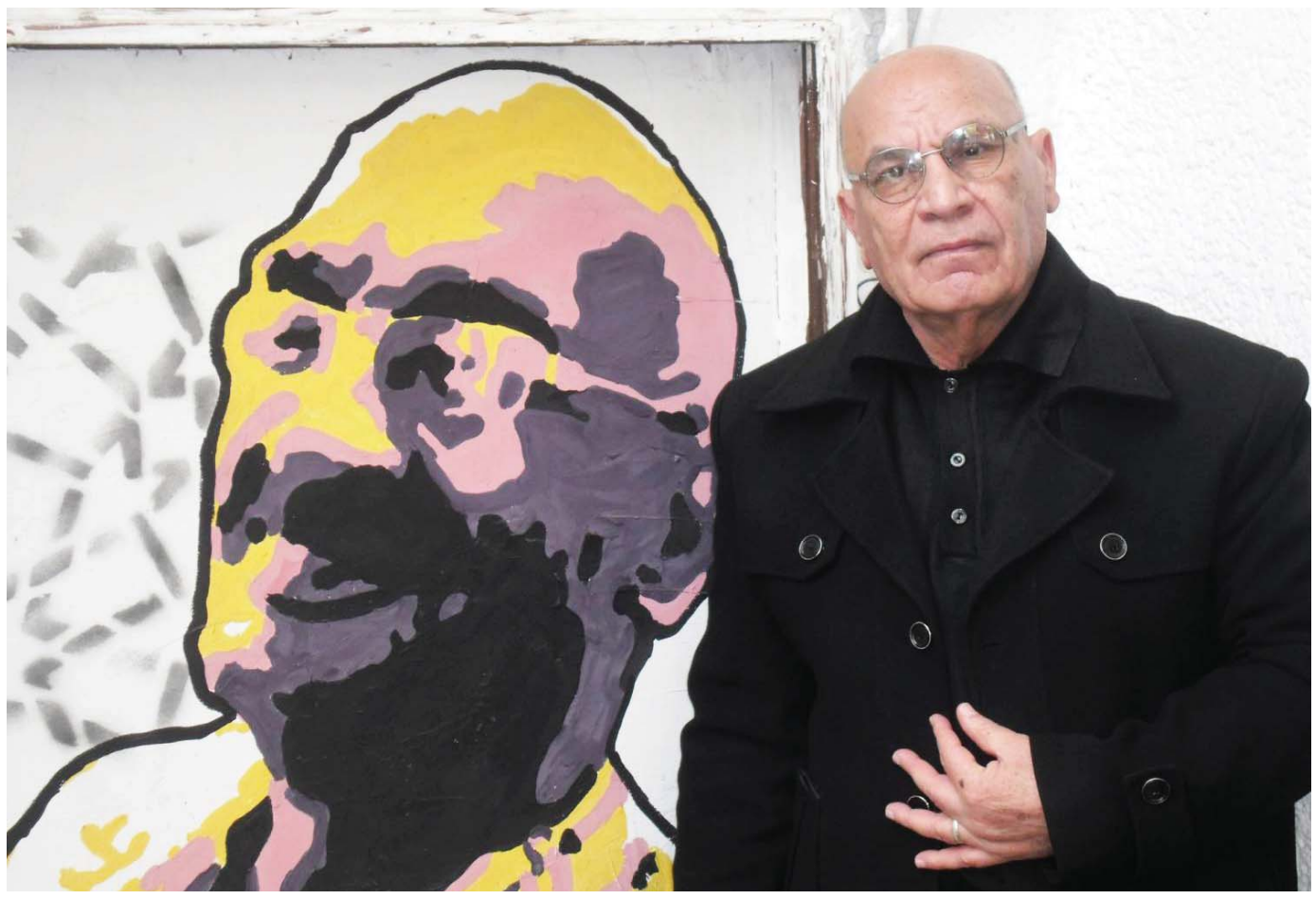

في الكتابة الشعرية أنا رسّام وموسيقي وسارد

قدّم الشاعر والناقد العراقي عذاب الركابي، المقيم في القاهرة، تجارب شعرية ونقدية مثيرة للاهتمام والجدل، منها محاولاته الإبداعية المتكررة في نحت قصائد "الهايكو العربي". "العرب" التقته في حوار حول خصوصية نصوصه الفنية والتنظيرية، وظواهر الكتابة المبتكرة وملامحها، وعلاقة الكتابة والأجناس الأدبية بالحرية، وغيرها من قضايا الإبداع والنقد.

شريف الشافعي
كاتب مصري

يتعاطى عذاب الركابي (70 عاما) مع الكتابة منذ ديوانه الأول "تساؤلات على خارطة لا تسقط فيها الأمطار" (1979) بوصفها سؤالا إنسانيًا مستعصيا، ويرى أن النقد في هذا المحيط الشاسع هو نصّ موازٍ للإبداع، ومشتبك معه بالضرورة كإبداع ثان.

**هناك خلط مؤذ للذاكرة العربية بين الهايكو وفنون الشعر الأخرى، التي لا علاقة لها بتقنية القصيدة اليابانية**

في قصائده، يتسلق أشجار الأحزان، لعلّه يعرف كيف نمت وازدهرت. وفي اجتهاداته في حقول "الهايكو" الملغومة، يسعى وسط الانفجارات والانتقادات إلى معرفة ما يقولهُ الربيع، في عالم تسكنه الفوضى.

كما يتطرق إلى ظواهر شعرية وسردية حداثية وما بعد حداثية، مختلفة ومتقاطعة، في مصر والعراق وتونس والأردن وليبيا ودول عربية أخرى، عبر أجيال متتالية من المبدعين خلال الأعوام الخمسين الأخيرة.

### أزمة الهايكو

يثار جدل واسع حول ما إذا كانت ثيمات من القصائد العربية المضغوطة، أي قصيدة الومضة، قصيدة النانو، القصيدة القصيرة جدًا، الشذرة.. هي بالفعل ظلال "هايكو عربي" بمواصفات نوعية مشابهة للهايكو الياباني أو الهايكو الأميركي/ الغربي، أم أنها مجرد نصوص عربية مختزلة، بمواصفات وطبيعة أخرى، ولا تندرج بالتالي تحت تسمية "هايكو"، بما يحيل الكثيرين من الشعراء العرب إلى قفص الاتهام ودائرة استنساخ الظواهر الفنية شكليًا ولغويًا دون تفهّم جوهرها وروحها وبيئتها.

"صباحُ ثملٍ/ طيرٌ يغرّدُ/ كيْ يُصحّيه"، هذا هو أحد نصوص عذاب الركابي، صاحب الدواوين الأربعة في ما جرت تسميته "هايكو عربي". في حديثه لـ"العرب"، يقول الركابي "إن هذا الخلط المخلّ بين الهايكو وسائر أنساق النصوص المكثفة هو واحد من أعراض الأنيميا الثقافية التي يعاني منها بعض الكتّاب والشعراء في الوطن العربي من أدعياء التجديد، أولئك الذين ركبوا الموجة ظانّين أنّ كلّ قصيدة مقتضبة مقتضبة هي هايكو، وهذا خطأ كبير، بل إساءة في فهم تقنية هذا الفنّ العظيم".

ويعود هذا الخلط، في رأيه، إلى تدليس أو إلى جهل محزن، فهؤلاء الكتّاب لم يعرفوا جوهر الهايكو، وربما لم يسمعوا أصلا بـ"الرنغا" ولا بـ"التانكا" التي انحدرت منها قصيدة الهايكو حتى استقرت على هذا الاسم بجهود مؤسسها باشو.

ويتابع "كما أنهم لم يطلعوا على مرجعيات الهايكو الياباني، متمثلة بكلاسيكياته وفلسفة "عقيدة الزن" التي هي رحمُ الهايكو وروحه، بمعنى الاستغراق في التأمل وصولا إلى الاستنارة واليقظة، وسيرة الرهبان الثلاثة باشو وبوسون وإيسا، مؤسّسي فن الهايكو، ولا على الهايكو الغربي الذي اختلف عن الياباني بمبدأ أن كل بيئة لها الهايكو الخاص بها، ما دامت الطبيعة هي مادته".

ويضيف الركابي "من هنا وقع الخلط المؤذي للذاكرة العربية بين الهايكو وفنون الشعر الأخرى، التي لا علاقة لها بتقنية قصيدة الهايكو، التي لا يفهم منها هؤلاء الشعراء غير حساب عدد الأسطر والمقاطع، وكأن الأمر مجرد معادلات لفظية".

ويؤكد أن الهراء بلغ بالبعض حد "أدلجة" القصيدة، وهي براء من الأيديولوجيا والغرام والحب والنضال، فهي الطبيعة البكر بكل كيميائها. موضحا أن انحيازه للكتابة الشعرية الجديدة بكل تجلياتها، وعلى رأسها "قصيدة النثر"، المُفْتَرَى عليها بإصرار، إذ يظن "الكتبة" أنها سهلة، وهروب مشروع من سجون الوزن والقافية، بينما هي حالة دهشة ولذة ومراوغة، يكمن فيها الجمال الخالص، بالرغم مما اعترى بعض نماذجها في الآونة الأخيرة من سقطات الأشكال الإبداعية بصفة عامة، ومنها المجانية والتكرار والثرثرة والابتذال واجترار تجارب الآخرين، في الخارج والداخل، وهي كلها أعراض أيضا للأنيميا الثقافية لدينا.

يلجأ مبدعون عرب كثيرون إلى كتابة النقد بصيغ إبداعية متحررة، انطباعية وشخصانية وارتجالية ومزاجية، سعيا إلى سد الفراغ، وأملا في مقاربة النصوص بشفافية لا تتوفر في كتابات الأكاديميين الجافة المعلبة.

لكن الكتابة بكل فنونها، لدى عذاب الركابي، هي سؤال دائم معلق، وتظل الإجابة عن هذا السؤال الإنساني الحضاري الوجودي ظامئة، متلهفة لإذابة ثلجه وإطفاء ناره معا.

النقد نصّ موازٍ للنصّ الإبداعي، شعرا كان أو قصة قصيرة أو رواية، والنقد الرؤيوي ما بعد الحداثي هو إبداع على إبداع، ونصّ مقابل نصّ، فقد سقطت إمبراطوريات النقد القديم الجاهز الطافح بالمصطلحات غير المفهومة.

ولم يعد النقد الأكاديمي المفلس قادرا على احتواء هذا الزحف الحضاري، والسيطرة على سيول الإبداع المتمرّد الجديد، وقد أعلن الناقد رونالد مكدونالد في كتابه القيّم "موت الناقد" منذ زمن موت النقد الأكاديمي الجاهز بقوالبه ورؤاه ومنظريه.

ويشير الركابي في حواره مع "العرب"، إلى ممارسة النقد الرؤيوي الحداثي، ومصدره الذائقة، "نكتب عن بعضنا البعض، وهي ظاهرة صحية كما تبدو لي، حيث انصرف النقاد الكبار والأكاديميون إلى الديكور الثقافي والمجاملة ولعبة تلميع الأسماء المحنطة التي تقاعدت حلما ورؤى، ولم يعُد لديها ما هو مثير ومُستفزّ".

في هذا الإطار، انتقى الركابي "مبدعي النيل" للكتابة عنهم في أحدث كتبه النقدية حول الإبداع المصري المعاصر، وهؤلاء الذين أطلق عليهم صفة "الحالمين" هم أصدقاؤه الذين يشبهونه ويشبههم.

يقول "هذا هو أول مدخل لبوابات كتاباتهم، وأسرارهم وكنوز إبداعاتهم، وأعتبر نفسي جزءا من المشهد الثقافي المصري، حيث أقيم من سنوات، وأمارس أنشطة متعددة، وأسعى إلى المزيد من الانخراط والانصهار. ويبقى صوت الإبداع في مصر متفردا، شعرا ونثرا، حتى مع هذا التراجع الطارئ، وتأخر صدور الدوريات الثقافية المهمة".

### أسئلة الغربة والحرية

تحفل النصوص الشعرية الجديدة بالكتابة التلقائية والفضفضة، بعيدا عن الاشتغالات الجاهزة والقوالب المسبقة، وتلتقي الفيوضات الشعرية كبوح ذاتي مع السرد كفن محبوك في مناطق برزخية "عبر نوعية"، تذوب فيها الفواصل.

يؤمن عذاب الركابي بعدم وجود حدود بين الأنساق الإبداعية، ويقول في حواره مع "العرب"، "أجدني في الكتابة الشعرية رسّاما وموسيقيّا وساردا، ويحضرني حديث ميشال بوتور عن الرواية الجديدة: تزداد رغبتي أكثر فأكثر في أن أؤلف صورا وأنغاما بواسطة الكلمات. قصيدتي هي رؤية ما لا يُرى، وسماع ما لا يُسمع، بحسب تعبير رامبو".

ويضيف "أعطي الكلمات حرية المبادرة، كما أوصى مالارميه. قراءاتي الكثيرة، حتى الإدمان، مصدر هذا اللعب الفني الغريزي بالكلمات، قصيدتي مهارة لعبة كلمات بذاكرة لا يطولها صدأ النسيان، إيقاعاتها الصاخبة تحرّض الحياة على الموت".

ابتعد الركابي عن وطنه العراق منذ أكثر من أربعين عاما، لكنه على صلة بتفجرات الشعر العراقي الجديد، من خلال متابعاته، وعلاقاته بشعراء العراق، في الداخل وفي المهجر، ومنهم من رفقاء الاغتراب: عدنان الصائغ، هاشم شفيق، حاتم الصكر، هادي الحسيني، رياض النعماني، خلف جبر، باسم فرات، أمجد محمد سعيد، بشرى البستاني: "هؤلاء شعراء وطن غاب، وصُودرَ، فلم يعُد لنا، وأصبحنا في أجندة حكّامه ومسؤوليه مواطنين مجازا".

وتؤكد تجربة الركابي أن اغتراب الكاتب يزيد تعلقه بالوطن واحتفاءه به في نصوصه، ويوضح قائلا "الغربة وطن مُتخيّل، كنتَ كمبدع تحلمُ به، صورة على الورق، وها أنت تشكل شوارعه وأناسه وبناياته ومؤسساته بالكلمات، صناعة خيال، وهو الوطن الوحيد الذي بلا جمارك، ولا حدود، ولا شرطة، ولا تأشيرات دخول وخروج. وطن علمني الكتابة بالجسد لا بالأصابع، وعلمني الحديث بقلبي لا بلساني. هو الوطن اللامكان واللازمان الذي حدوده الأفق. أنا نصّي، والوطن ذكرى مبعثرة في مفرداته، غادرني ذات ليلة باردة، وظل يسكنني، ولا أستطيع الهروب منه".

# سعودي ومصري يتوجان بمنحة سينمائية سعودية

جدة – اختار مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي المشروعين الفائزين بمنحتي إنتاج بقيمة 500 ألف دولار لكل منهما، من بين 12 مشروعا اختيرت في أكتوبر 2019 للمشاركة في الدورة الافتتاحية لمعمل البحر الأحمر السينمائي.

وحصل على منحة الإنتاج السعودية فيلم "شرشف" من إخراج هند الفهّاد وتأليف هناء العمير، فيما منحت لجنة التحكيم جائزة الإنتاج العربية للمشروع المصري "الرصاص والخبز" من إخراج محمد حمّاد وإنتاج خلود سعد ومحمد حفظي.

كما قدّمت لجنة التحكيم جائزة تحفيزية للمشروع السعودي "أربعة أوجه للعاصفة" من إخراج حسام الحلوة وإنتاج محمد الحمود، حيث حصل من معمل البحر الأحمر السينمائي على منحة إنتاجية بقيمة 25 ألف دولار لتطوير الفيلم الذي تدور أحداثه في ثلاثينات القرن الماضي، وقد أشادت لجنة التحكيم بالمشروع مؤكدة أن للفيلم إمكانات كبيرة وتتطلع من القائمين عليه إلى تطويره وإنجازه.

يُذكر أن المشاريع السعودية الستة المختارة للمشاركة في الدورة الافتتاحية من معمل البحر الأحمر السينمائي هي "بسمة" لفاطمة البنوي، "ممارسة التعدد" لملاك قوتة، "أربعة أوجه للعاصفة" لحسام الحلوة، "والنجم إذا هوى" لمحمد سلمان، "شرشف" لهند الفهّاد، و"هِج لدزني" لمها الساعاتي.

**معمل البحر الأحمر السينمائي أعلن عن اختيار مشروعين لفيلمين ليفوزا بمنحتي إنتاج بقيمة 500 ألف دولار**

أما المشاريع العربية الستة فهي الفلم الفلسطيني "وصمتت شهرزاد" لأميرة دياب، ومن الأردن "إنشاء الله ولد" لأمجد الرشيد، ومن العراق "المترجم العربي" لعلي كريم، ومن مصر "الرصاص والخبز" لمحمد حمّاد، ومن لبنان "الرياح أيضا تغني" لهادي غندور، و"أنا أرزة" لميرا شعيب.

# المعمارية فاطمة عبدعلي: الحرف التقليدية ذاكرة ثقافية

المنامة – أكدت المهندسة المعمارية فاطمة عبدعلي من إدارة التراث الوطني بهيئة البحرين للثقافة والآثار أن الصناعات الثقافية ترتكز على المضمون والثراء الإنساني الذي تنفرد به الثقافات حول العالم، وبينت أن البحرين بتاريخها وعراقتها تمتلك هذا التنوع والاستثنائية، فالرهان على الإرث غير المادي يمثل حراكا قويا وعميقا يساهم في التنمية والازدهار الاقتصادي، كما سيحقق مردودات وطنية وعالمية.

وفي تصريح خاص لوكالة أنباء البحرين أوضحت المهندسة عبدعلي أن الحرف التقليدية قد شكلت مضمونا ثقافيا أدرجته هيئة البحرين للثقافة والآثار في سياق مناقشاتها بالملتقى الوطني الثاني للتراث الثقافي غير المادي التي انعقدت منذ 21 وحتى 23 سبتمبر الجاري.

وأشارت إليها باعتبارها تراثا إنسانيا عميقا، واستثمارا ثقافيا يعول عليه لتشكيل بنى تحتية للصناعات الثقافية والإبداعية في البحرين، في تأكيد على أن هذه الحصائل والنتاجات الإنسانية لها خصوصية ثقافية ذات مردود إنساني واجتماعي واقتصادي.

وأردفت المهندسة أن هذه الحرف والصناعات التقليدية تجسد ركائز حقيقية للصناعات الثقافية في المنطقة، وأن الرهان على استدامتها وتكريسها لأجل صناعات إبداعية سيسهم في حفظ الممارسات الإنسانية بثرائها وتنوعها، قائلة "ليست الذاكرة وحدها هي حافظة للتاريخ، بل وهذه الممارسات والحرف أيضا التي تستدرج الثقافة والتاريخ، وتمثل تعبيرات ثقافية أصيلة ورمزيات للهوية المحلية".

وأضافت "ما نراهن عليه في الثقافة ليس الحفظ والتوثيق فحسب، بل رهاننا على مستقبل الصناعات والحرف التي نكرس كل المساعي من أجل أن تكون شاهدا تاريخيا لا يمحى وهوية وطنية تلهم مدننا بما تنتج وتمنح. ولأننا نؤمن بمسؤوليتنا من أجل نقل هذا الإرث الجمالي وملامحه للأجيال التي تنتمي إليه، لا بد أن نحرك تلك الذاكرة وأن نترك لهذا الإرث أن يتجذر في صناعاتنا ويتفوق باستثنائيته واستدامته".

وبينت المهندسة عبدعلي أن الحرف والصناعات التقليدية لم تكن تنحصر في المفاهيم العملية والمهنية فحسب، بل لها أبعاد أعمق من ذلك، ومضمونها يمنح دلالات اجتماعية وثقافية وتاريخية، موضحة أن قرى ومدن البحرين عبر التاريخ قد جسدت حاضنات إنسانية لتلك الدلالات، وشكلت بيئاتها المعيشية مواطن لنشوء وازدهار الحرف.

**ليست الذاكرة وحدها التي تحفظ التاريخ بل الممارسات والحرف أيضا تساهم في ذلك كتعبيرات ثقافية أصيلة**

وقالت "اتصلت الحرف الشعبية والصناعات التقليدية تاريخيا بالإنتاج الثقافي والتاريخي الذي تنفرد به مواقع ومناطق معينة، تبعا للممارسات الاجتماعية والإنسانية، جغرافية تلك المناطق، المؤثرات التاريخية عليها، المعتقدات، الفنون المهنية والحرفية التي تنفرد بها جماعات بعينها، بالإضافة إلى توافر المواد الأصلية، الاهتمامات المجتمعية والعوامل الاقتصادية وغيرها. كل تلك المعطيات أدت في حصيلتها إلى نتاجات إنسانية تاريخية، ارتبطت بتلك المواقع، والتي في غالبيتها هي مواقع تاريخية، تراثية وأثرية".

الحرف تراث ثقافي